الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

شهادة مشاركة

يشهد السيّدان عميد كلية الآداب واللّغات_ جامعة أبو بكر بلقايد_ تلمسان ومدير مخبر الدراسات الأدبية واللّغوية الأندلسية

أنّ الدكتور بركات إسماعيل- جامعة المسيلة

ساهم بمداخلة موسومة "الطوبونيميا الأندلسية بالمغرب الأوسط الوسيط بين الدلائل اللّغوية والمرجعية التاريخية. المجال والمكان أنموذجًا"

وذلك ضمن الملتقى الدولي الأوّل (عبر تقنية التحاضر المرئي عن بعد) بعنوان: "الطوبونيميا الأندلسية – في الجزائر والوطن العربي"

المنظم يوم: 21 جانفي / كانون الثاني 2023م، في إطار مشروع البحث التكويني الجامعي (PRFU)، رمز المشروع: L01L01UN130120210001

السيّد عميد كلية الآداب واللّغات

السيّد مدير مخبر الدراسات الأدبية واللّغوية الأندلسية

مخبر Laboratoire

مدير المخبر
د. هشام بن شوش

عميد الكلية
د. حليان محمد

برنامج الملتقى الدولي الأوّل

(عبر تقنية التحاضر المرئي عن بعد)

الطوبونيميا الأندلسية

– في الجزائر والوطن العربي–

يـوم: 21 جانفـي / كانــون الثانــي 2023م

مراسم الافتتاح Cérémonie d'ouverture ابتداءً مـن السّاعـة 00 : 10 صباحًـا
▪ الاستماع إلى آيات بيّنات من الذكر الحكيم ▪ الاستماع إلى النشيـــد الوطنـي الجزائـري ▪ كلمة عميد كلية الآداب واللّغات: الأستاذ الدكتور ملياني محمّـد ▪ كلمة مدير مخبر الدراسات الأدبية واللّغوية الأندلسية: الدكتور بن سنوسـي هشـام ▪ كلمة بخصوص مشروع البحث التكويني الجامعي (PRFU): الدكتور بن كعبة سيدي محمّد ▪ محاضرة افتتاحية للأستاذ الدكتور عبدالرحيم الخليفي، جامعة القيروان- تونس: «جمهورية موريسكيي الهورناتشوس في سَلاَ بالمغرب »
الجلســة العلميــة الأولــى
د. جيلالي بوعافية، جامعة تلمسان: البحث الطوبونيمي؛ أهميته ودوره العلمي.
د. دالي أحمد شكيب، جامعة البليدة 2/ د. بن شعيبي محمد، جامعة مستغانم: النظائر في مسميات بلدانية الأندلس وسائر بلاد العرب.
د. بصديق عبد الكريم، جامعة باتنة 1: أهمية الطوبونيميا في دراسة التأثير الأندلسي على حضارة المغرب الأوسط في العصر الوسيط.
د. بركات إسماعيل/ طرهيوة صباح، جامعة المسيلة: الطوبونيميا الأندلسية بالمغرب الأوسط الوسيط بين الدلائل اللّغوية والمرجعية التاريخية ـ المجال والمكان أنموذجًا.
كريم محمد، جامعة سطيف 2: أوجه حضور الأسماء الأندلسية في أونوماستيك المغرب الأوسط.
سعيداني محمّد، جامعة تلمسان: طوبونيميا الأماكن الأندلسيّة من خلال كتاب نَفح الطيب.

عيفة عطاء الله، جامعة الأغواط: الرّحلات الأندلسية ودورها في التوثيق والوصف الطوبونيمي، رحلة "خطرة الطيف" للسان الدين بن الخطيب أنموذجا.

الجلسة العلمية الثانية
د. نجية موس، المركز الجامعي مغنية: الارتباط الثقافي الجزائري الأندلسي- الطبونيميا أنموذجا-
أ. د. أحمد طيبي، جامعة سعيدة: الأنثروبونيميا الأندلسية: نماذج من أسماء الأعلام في الجزائر.
د. بلحاجي فتيحة، المركز الجامعي مغنية: دلالة الأماكن الأندلسية في الجزائر من خلال أسماء القبائل و ألقاب العائلات.
د. أسماء بلهبري/ د. وهيبة وهيب، المركز الجامعيّ مغنيّة: التّصوّف الأندلسيّ بالجزائر- عرض طوبونيمي للأعلام والزّوايا والأضرحة.
شريد عبد الوهاب، جامعة الشلف/ بركة محمد ، جامعة الجزائر 2: المدن الأندلسية الباقية في الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة: مدينتي " شرشال والبليدة " نموذجا.
زيطاري أحلام، المركز الجامعي تيسمسيلت/ بوعيشاوي سعاد، جامعة الجزائر 2: قراءة طوبونيمية أندلسية لمدن الساحل الجزائري "بليدة، قليعة، آزفون" أنموذجا.
شاوي فتيحة، جامعة سيدي بلعباس: الحيّز الثقافي والمعرفي لأسماء أندلسية بمنطقة الغرب الجزائري- ولاية سيدي بلعباس نموذجا(دراسة ميدانية).

الجلسة العلمية الثالثة
د. مالكي سميرة، جامعة وهران 2: المواقعية الأندلسية التونسية: مدينة تستور العريقة أنموذجا.
د. بن صافي أمال، المركز الجامعي مغنية: طوبونيميا الأسماء الأندلسية بالجزائر.
براوي يمينة/ رازي ابتسام، جامعة سيدي بلعباس: أسماء المعالم الأندلسية في الجزائر على ضوء الطوبونيميا- نماذج مختارة -
د. حامدة تقبايت، جامعة تلمسان: النسق الثقافي لأسماء الأماكن الأندلسية في الجزائر.
ابن عزوز نبيلة، جامعة تلمسان: التفاعل الحضاريّ بين الجزائر والأندلس وأثره على التعدد اللّغويّ في مدينة القليعة.
أسماء بن طيب/ سكينة عبد المالك، المركز الجامعي مغنية: مساهمة الأدب الجزائري في حفظ المخزون الطوبونيمي الأندلسي "رواية البيت الأندلسي" نموذجا.
مناقشة عامة *** نهاية الأشغال و قراءة التوصيات ***

مخبر
Laboratoire
المدراسات الأدبية واللغوية الأندلسية
Etudes littéraires et linguistiques andalouses

الطوبونيميا الأندلسية بالمغرب الأوسط الوسيط
بين الدلائل اللغوية والمرجعية التاريخية
المجال والمكان أنموذجًا

مقدمة:

تبدوا نصوص ووثائق استقرار الأندلسيين في سواحل المغرب الأوسط شحيحة وسطحية بعد إشارات البكري أبو عبيد (ت 487هـ / 1094م)، خاصة في جناحه الشرقي وحاضرته بجاية، ولعل سبب هذا الصمت قلة عنصرهم أمام التوافد السريع والهام للسكان بداية من 460هـ / 1067م، ولأقدميتهم التي مكنتهم من التأقلم مع الجهة، والسكان المغاربة من ناحية، ولأنهم لم يكونوا من الخاصة كالعلماء أو أصحاب السلطة أو أصحاب الثروات من ناحية أخرى، بل تجار عاديين أو ملاحين استطاع المجتمع الجديد صهرهم وابتلاعهم فسكتت عنهم المصادر.

بيد أن تواتر أسمائهم والإشارة إليها في مؤشرات المصادر يعطينا انطباعًا أوليًا، وهو أن التوافد الأندلسي ساهم لا محالة في تعمير بلاد المغرب الأوسط، حيث كان لدورهم الاقتصادي والحضاري المبرر في استمرار العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط، والدافع الأساسي للنشأة التدريجية للدراسات الغربية والعربية المتعلقة بالهجرة الأندلسية، في محاولة منها لتتبع أصول الظاهرة الموريسكية، اعتمادًا على نصوص فقهية ووصفية وتراجمية وأرشيفية.

لم تتطرق هذه الدراسات حسب ما أفادت به إحدى الأبحاث الجادة إلى « الهوية الأندلسية »، أو ماذا يعني الانتساب للأندلس في الكتابات العربية الوسيطة، رغم أن عددًا من الدارسين أشاروا إلى صعوبة تحديد مدلول « الأندلسي »، حتى في المجالات الأندلسية ذاتها، بسبب الضبابية فيما يخص هذا الجانب، وهو ما يؤكد لنا صعوبة البحث والتحقق في أنماط طوبونوميتها التي أنتجتها بالمغرب الأوسط؟ ناهيك عن قلة المعطيات المصدرية والشواهد النصية أو المادية التي تحمل بصماتها خلال تلك الفترة.

ومن هذا المنطلق تسعى هذه الدراسة في محاولة منها إلى رسم بعض معالم صور الطوبونيم الأندلسي بالمغرب الأوسط، وإبراز مساحة الاهتمام به، انطلاقًا من الدراسات السابقة المفيدة، وما أسهمت به المصادر المعتمدة من درجة الاستفادة استقراءً وتحليلاً، واعتمادًا على المنهج المقارن والمقاربة التاريخية والجغرافية عبر أمدها الطويل، في الوقوف على دور المكان في التأثير على الأحداث (الهجرة)، مع تتبعها تاريخيًا في سياق زمكاني يوضح آليات الاستقرار وطرق التوطين الأندلسي بمجاله، في محاولة للكشف عن نمط طوبونيمي انتقل إلى تصرفه الساعي إلى توظيفه في التوزيع والتعمير والاحتواء في ظل توطين محلي عرف قبل مجيئه نسقًا سريعًا وحركة دؤوبة من باديته.

وفي اقتصارنا على دراسة قلة ما قدمته لنا المصادر، مع التأكيد على حبلى الصعوبات التي كابدت البحث في طوبونيميا الأندلس بالمغرب الأوسط، حاولنا الإحاطة بالقدر الكافي لهذا المجال التاريخي والجغرافي، توخيًا وتمشيًا مع المعطيات ضمن خطة ثلاثية تقوم على ضبط المصطلح ومناقشته ضمن سياقه التاريخي والجغرافي (أولاً)، ثم التتبع التاريخي للوجود الأندلسي (ثانيًا)، وأخيرًا جرد المتغيرات الطوبونيمية بالمغرب الأوسط من خلال التوطين الأندلسي (ثالثًا).

أولاً: الدلالات التاريخية والجغرافية لطوبونيميا الأندلس بالمغرب الأوسط

1 ــ الطوبونيميا المفهوم والاصطلاح:

يتعلق ضبط مصطلح « الطوبونيميا » حسب التسلسل الزمني للوثيقة المكتوبة، وضمن تشكله وفقًا للظروف الاجتماعية التي تفرض لغة المعنى الجاري في الوقت الذي كتب فيه، ولا يمكن إقحام معاني لاحقة، خاصة ما تعلق بأسماء المدن والمنازل المجهولة الموقع والموضع الوارد ذكرها في كتب المسالك والرحلة من جهة، وما نسب خطأ من أربطة ومنشآت مائية عربية في عصور مبكرة، إلى عصور وسيطية[1].

يعرفها آلبار دوزا Albert Dauzat بأنها: « علم نفس اجتماعي يمكننا من معرفة الأسباب التي جعلت المكان يحمل أسماء معينة تميزه عن سواه، فمن خلالها نفهم الروح الشعبية، واتجاهاتها الخيالية والواقعية، بالإضافة إلى النظام اللساني الذي تم به التعبير عن اسم المكان »[2]، وهي إشارة إلى البحث في معنى وتفسير المكان وأصوله، ودراسة قيمة كينونته التراثية وملامح تغير أنساقه اللغوية.

حيث ينطلق البحث تحت اسم Onomastique في الاشتغال أولاً على أسماء الأعلام بصفة عامة كالأشخاص والقبائل والعشائر والجبال والأمصار والأنهار، ثم بدراسة أسماء الأشخاص تحت اسم Anthroponomie، ثم أسماء الأماكن تحت اسم الطوبونيمي Toponymie.

كما تندرج في شرح الألفاظ، أي أنها تسلط الضوء على مختلف التسميات التي كانت تسمى بها هذه الأماكن، وذلك ضمن الأطر السياسية والاجتماعية، والتقلبات التاريخية السائدة في تلك الفترة.

وهي أصناف؛ فهناك الأورونيميا oronymie وتهتم بدراسة الجبال، والهيدرونوميا hydronymie وتهتم بدراسة المجاري والمسطحات المائية والميكروطوبونيميا microtoponymie وتهتم بدراسة أسماء الأماكن، والأودونيميا odonymie، وتهتم بدراسة أسماء الطرق والأزقة والشوارع[3].

---

[1] محمد حسن، **الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع VII ــ XV**م، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، تونس، 2004، ص9، 10.

[2] Albert Dauzat, **Les noms de lieux: origine et évolution, villes et villages, pays, cours d'eau, montagnes**, Paris, 1963, P: 40, 41.

[3] عبد المالك ناصري، **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي تساؤلات منهجية**، ضمن كتاب « **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي إسهام في ضبط أسماء الأماكن مقدمات في المنهج والعلائق** »، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص59.

2 ــ طوبونيميا المغرب الأوسط الوسيط والبعد الجغرافي للمرجعية:

لا تقتصر الطوبونيميا كمجال معرفي على دراسة تطور أسماء المواقع الكبرى toponymies ــMacro، والمواق الصغرى toponymies ــ Macro[1]، بل هو مرتبط بمعالم جغرافية في تسميتها من حيث المضمون الذي حازه اسم المكان تصريحًا، أو كناية عن ظاهرة طبيعية، أو المجاري المائية، أو الأنواع النباتية والمعادن والأسماء الحيوانية، وكذلك الأعلام الدينية وأيضًا بالتضاريس والقبائل[2].

ومن بين مظاهر حضور البعد الجغرافي بالمغرب الأوسط في أسماء الأماكن ما يرتبط بالألوان حيث تذكر المصادر المدينة الخضراء الواقعة بجهات نهر الشلف[3]، ومنها ما يرتبط بأسماء الحيوانات حيث نجد صلب الكلب ربوة على البحر بظاهرة وهران[4]، ومنها ما يقترن بالنباتات والأشجار والثمور مثل وادي الزيتون بالقرب من تلمسان[5].

ومما يجعل البعد التاريخي حاضرًا في أثناء ضبط الأعلام الجغرافية، الإطار أو السياق التاريخي الذي صيغ فيه، ومجموع المؤثرات التي أسهمت في تثبيته من خلال آثار حركة الإنسان في المكان خلال الزمن الوسيط، والمتراكم في مجموع الأحداث التاريخية والوقائع الاجتماعية والطقوس الدينية والنتائج الحضارية التي وقعت بأمكنته.

ومن الأسماء المشتركة الموجودة بمنطقة الغرب الإسلامي ذات الارتباط بانتمائها إلى القبيلة، نذكر قبيلة مكناسة البترية، وهي قبيلة كان مجالها خلال القرن 2هـ / 8م على وادي ملوية من لدن أعلاه بسجلماسة إلى مصبه في البحر، وما بين ذلك من نواحي تازا وتسول، ثم زاد امتداد القبيلة

---

(1) Saddek Benkada, **Quelques toponymes espagnols d'Oran et de sa région à travers le rapport de Joseph de Aramburu 1741**, CRASC, Oran, 2005, P: 161.

(2) الزقرطي إبراهيم موسى، **أسس الأسماء الجغرافية**، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان، 1997، ص37. مسطاري بوكثير، " **الماء والتوطين بالقرى الجبلية بالجنوب التونسي: ملاحظات وإضاءات حول قرية السند** "، مجلة الأندلس مغرب، ع19، 2011، ص38. فاطمة الزهراء نجراوي، **الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الاماكن المأهولة « مقاربة لغوية تطورية منطقة تلمسان أنموذجًا »**، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص: ثقافة شعبية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2016 ــ 2017، ص12، 13.

(3) البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص19، 96.

(4) ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي (ت نهاية ق 7هـ / 13م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: كولان وليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص125.

(5) ابن القطان أبي محد حسن بن علي بن محمد بن عب الملك المراكشي (ت 628هـ / 1230م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، درسه وقدم له وحققه: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1990، ص255.

وانتشارها فذكرها اليعقوبي بناحية تلمسان[1]، كما ذكرت مصادر أن بطناً من بطونها سكن جبل الونشريس[2]، فيما أسس آخر مدينة تاكرارت أثناء الحكم الصنهاجي فأخذت المدينة اسم القبيلة وتسمت بمكناس حسب صاحب الاستبصار[3]، مما يدل على انتشار الاسم وتغيره حسب المجال والمكان، وهو دليل على التواصل الحاصل بين مناطق اغرب الإسلامي، حيث انتقل من اسم القبيلة إلى اسم طوبونيميا المدينة.

ومنها ما يرجع إلى أسماء الأشخاص مثل سوق حمزة قرب تاهرت نسبة لحمزة بن الحسن بن سليمان بن علي بن أبي طالب[4]، ومنها ما يرجع إلى الطقوس والمعتقدات الدينية مثل باب الحجاز بالجامع الكبير بتلمسان[5].

وهي إشارة إلى تنوع مواطن استقرار بعض عناصر القبيلة بفعل الهجرة والتنقل الطوعي أو الاضطراري فعناصر بني مطماطة المفرقون في مناطق عدة كما ذكر ابن خلدون[6] مثلاً انتشرت ببلاد الغرب الإسلامي وتسمى بها أكثر من موقع، فقد تحدث اليعقوبي عنهم بالمغرب الأوسط غرب تاهرت بمدينة ايزرج، وشمال غرب تلمسان[7].

أما قبيلة يفرن الزناتية فقد كان منهم بإفريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط بطون وشعوب بنواحي تلمسان إلى جبل راشد المعروف بهم، كما انتشروا ببلاد المغرب الأقصى وكونوا دولا بها،

---

(1) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ / 897م)، **البلدان**، وضع حواشيه: محمد أمين صناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 2002، ص197.

(2) الحميري محمد بن عبد المنعم (ت أواخر القرن 9هـ / 15م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، د.ت. ص600.

(3) مؤلف مجهول كاتب مراكشي من كتّاب القرن (ت 6هـ / 12م)، **كتاب الاستبصار فِي عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت، ص187.

(4) ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت 456هـ / 1063م)، **جمهرة أنسابالعرب**، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص39. البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487هـ / 1094م)، **المغرب فِي ذكر إفريقية وبلاد المغرب**، تَحقيق وترجَمة: دوسلان، مكتبة المثنَى، بغداد، 1958، ص143.

(5) ابن مرزوق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الخطيب (ت 781هـ / 1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: مَحمود بوعياد، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981، ص403.

(6) فمنهم من بنواحي فاس من قبلتها في جبل هنالك معوف بهم ما بين فاس وصفروى، ومنهم بجهات قابس والبلد المختط على ين الحامية من جهة غربها منسوب إليهم إلى هذا العهد يقال حمة مطماطة. ينظر: ابن خلدون أبي زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1405م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، ج4، ط2، دار الفكر، بيروت، 2000، ص25، 254.

(7) اليعقوبي، **البلدان**، ص356.

ولهم قصور في الأطلس الصغير، كما يوجد اسم يفرن بجبل نفوسة غرب طرابلس[1]، وقبائل هوارة وزناتة بما في ذلك بلاد الونشريس نواحي تلمسان ووادي الشلف، والثاني أرض هوارة الذي يوضح اختفاء اسم قبائل الجيتول[2].

ثانيًا: نمطية الوجود الأندلسي وبداية النسيج العمراني

1 ــ الحضور الأندلسي عند البكري أبو عبيد (ما قبل الحفصيين):

أشار البكري[3] إلى إشكالية استقرار الجالية الأندلسية قبيل سنة 460هـ / 1067م، حيث ذكر بعض مدن المغرب الأوسط في جناحه الشرقي في إشارة منه إلى مدينتي بجاية وتنس، فعن الأولى قال بأنها: « كانت عامرة بأهل الأندلس »، قبيل تأسيسها من طرف الناصر بن علناس (454 ــ 461هـ / 1062 ــ 1088م).

مما يعني أن تعمير « مرسى الدجاج » كان أندلسي في البداية، قبل توافد جموع عناصر سكانها الأصليين، ومما يوحي بأنها كانت نسبيًا جالية هامة أما الثانية فذكر بأن بناءها كان على يد التجار البحريون من أهل الأندلس سنة اثنتين وستين ومائتين[4].

وقد فسر الهادي روجي إدريس طبيعة ذلك التعمير الأندلسي في بدايته بسبب نمو القرصنة في القالة (مرسى الخزر آنذاك) للتزود من المنتوجات الشرقية، مما يدل على أنهم كانوا أصيلي المدن الساحلية[5].

وقد سيطرت هذه الجاليات الأندلسية على كثير من المدن الساحلية الجزائرية كمدينة بونة وتدلس، واستحوذت على التجارة بها[6]، كما كان لهم وجود في بني جدليداس بالقرب من مدينة تنس، وفي مدينة المسيلة في أوائل القرن 4هـ م 10م، وكذلك استقرت طائفة منهم في مرسى أرزيو[7]، وتبدو أول هجرة اندلسية واضحة نحو الجزائر « جزائر الثعالبة »، على إثر سقوط سرقسطة البيضاء

---

(1) ابن خلدون، **كتاب العبر**، ص22 ــ 24.

والبكري أبو عبيد (ت 487هـ / 1094م)، **المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص56.

(2) ابن خلدون، **كتاب العبر**، ج7، ص61.

(3) البكري، **المسالك والممالك**، ج2، ص757.

(4) البكري، **المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب**، ص61.

(5) Idris Hedy Roger, **La Berbérie Orientale sous les Zirides Xé-XIIé**, Paris, 1962, P: 677.

(6) عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس ودول المغرب**، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص102.

(7) عبد العزيز فيلالِي، **تلمسان فِي العهد الزيّانِي ــ دراسة سياسية عمرانية اجتماعية، ثقافية**، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ص174.

سنة 512هـ / 1143م، واستقرارهم في أعالي الجزائر وموطن استقرارهم بحي حومة الثغرين، **ولا** تزال الهضبة التي استوطنوها تحمل اسمهم إلى اليوم[1].

2 ـ هجرة القرن 6هـ / 12م (مؤشرات المصادر):

أصبحت أوضاع الأندلس دافعة إلى الهجرة منذ القرن 6هـ / 12م، حيث هيمنت على تاريخها ظاهرتان؛ الأولى تمثلت في التناحر العنيف على السلطة، والثانية في الصراع المتواصل فيما بينها، ولعل صاحب اشبيلية المعتضد بن عباد الذي قتل ابنه ولي عهد إسماعيل سنة 449هـ / 1057م خوفًا على عرشه منه، وانقسام سرقسطة إلى خمس إمارات بين المتنازعين على السلطة دليل على التناحر.

وما قامت به إمارتا اشبيلية وطليطلة، حيث استولى بنو عباد على ميرتلة سنة 443هـ / 1044م، وعلى المدينة الخضراء وشنتمرية الغرب ولبلة سنة 445هـ / 1053م، ورندة سنة 451هـ / 1059م، دليل على الصراع المتواصل فيما بين إماراتها.

وتتابعت الكوارث فسقطت أهم المدن الكبرى بعد ذلك منها قرطبة سنة 633هـ / 1236م، ثم بلنسية، وجيان، ومرسية، وإشبيلية، ثم المدن والأقاليم الأخرى، ولم يبق من الأندلس إلا إمارة غرناطة في أقصى الجنوب التي قاومت حتى سنة 897هـ / 1492م[2].

فاستقطبت مدن المغرب الأوسط خاصة حاضرة بجاية عددًا كبيرًا من الجالية الأندلسية من التجار والفقهاء والعلماء الأندلسيين من أمثال العالم الفقيه بن زاهر الأنصاري البلنسي، والعالم الفقيه بن برطلة من أهل مرسية الذي سكن بجاية، وولي صلاة الفريضة بجامعها الأعظم، وقضى مدينة الجزائر، وابن محرز البلنسي وغيرهم ممن سكن بجاية بعد 640هـ / 1243م[3].

3 ـ ذروة الهجرة خلال القرن 7 ـ 9هـ / 13 ـ 15م (نسق سريع وحركة دؤوبة):

تفاقم خلال هذه الفترة الخطر المسيحي إذ توالت النكبات وأصبح يشكل دافعًا رئيسيًا للهجرة نحو مدن المغرب الأوسط، حيث يصف لنا صاحب كتاب « نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر »، معاناة مهاجري الأندلس وعبورهم نحو العدوة من المراسي بقوله: « فخرج من بقي من أهل مالقة في ثلاثة أيام إلى بادس، وخرج أهل ألمرية في نصف يوم إلى تلمسان، وخرج ما بقي من أهل غرناطة

---

[1] محمد الأمين بلغيث، **الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة**، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسى لقبال، تنسيق: إسماعيل سامعي وعلاوة عمارة، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، 2008، ص3.

[2] أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنثنت، **تاريخ مسلمي الاندلس الموريسكيون حياة ومأساة أقلية**، ترجمة: عبد العال صالح طه، تقديم: محمد محي الدين الأصفر، ط1، دار الإشراق، قطر، 1988، ص3.

[3] الغبريني أبو العباس أحمد (ت 704هـ / 1304م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص289، 322.

في خمسة عشر يومًا الى بجاية ووهران »[1]، وهو ما يثبت استقرار الأوضاع بالمغرب الأوسط واستتباب الأمن فيه، وكان اختيار معظمهم من الأشراف الحسنية ومن وجوه القوم وأعيان الأندلس لمدينة تلمسان، حتى أصبحوا يشكلون العنصر الثاني في المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني، وذلك لما لقوه من العناية والترحيب والكرم من طرف سلاطينها[2].

وقد شكلت بجاية قطبًا بديلاً للمهاجرين خاصة منهم الفقهاء، فقد تحدث المراكشي على أبي العباس أحمد بن علي الأنصاري بالاستيلاء الإسباني على ميورقة بقوله: « ولما تغلب الروم على ميورقة عنوة، كان ممن انضوى إلى جبلها، فلما نزل الناس منه صلحًا في شعبن 628 نفذ إلى بجاية واستعمل في بعض أعمال إفريقية »[3].

ويذكر الغبريني الفقيه أبا بكر محمد المعروف بابن محرز أصيل بلنسية، ارتحل إلى بجاية بعد 640هـ 1243م واستوطنها، والطبيب أبا القاسم محمد الأموي من أهل مرسية واردًا عليها سنة 666هـ 1268م[4]، ويورد ابن خلدون جاليات بأكملها قدمت المغرب الأوسط، لا سيما عائلتي ابن سيد الناس أو ابن غمر، وابن جبل الهمداني، وابن أبي العيش الخزرجي، والآبلي[5].

ثالثًا: الموريسكيون والمتغيرات الطوبونيمية بالمغرب الأوسط (تأسيس الأماكن وتأصيل الأسماء)

برزت طبونيمات أندلسية بعد سقوط غرناطة سنة 897هـ / 1492م، غرب مدينتي وهران وبجاية، وبرز في هذا الجانب مينائي وهران ومرسى الكبير في استقطاب الجماعات الموريسكية، حيث كان لهذا التوافد أثره من الناحية العمرانية، وذلك باستقرار جماعات منهم في بالمناطق الداخلية على غرار مازونة وقلعة بني راشد وقسنطينة وسهل متيجة، ووصل عدد منهم حتى البليدة والمدية[6].

وقد كان لهذه الهجرة انعكاسات ديمغرافية في المدن بإحداث أزمة عقارية في معظم المدن الساحلية، مما دفع بالسلطات إلى تهجيرهم إلى المناطق الريفية حيث أسسوا مدن جديدة، كما هو الحال

---

(1) مؤلف مجهول، **نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر**، ضبط وتعليق: الفريد البستاني، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص48.

(2) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج2، ص173 ــ 175.

(3) المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: محمد بن شريفة، ج1، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، 1984، ص345.

(4) الغبريني، **عنوان الدراية**، ص101، 242.

(5) ابن خلدون، **كتاب العبر**، ج6، ص137، 438.

(6) علاوة عمارة، **الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وأثرها في العمران**، ضمن كتاب « **الهجرة المغاربية وأبعادها السوسيو ــ تاريخية** »، أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، إشراف: كمال فيلالي، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011، ص53، 54.

بمدينة بجاية عندما سيد درب أندلسي خارج سور المدينة، ما زال مسجد عبد الحق الإشبيلي شاهدًا عليه.

وتم إحياء مداشر سيدي علي جديدة في المغرب الأوسط كمدينة البليدة والقليعة التي أسستا على يد سيدي أحمد الكبير سنة 924هـ / 1535م، بمحاذاة مدينة خزرونة القديمة بعد أن أقطع خير الدين بربروس أراضيها للأندلسيين الذين بادروا ببناء حمام ومخبز ومسجد لا زال يعرف حتى اليوم بجامع الترك[1]، وقرية الأندلس الواقعة غرب مدينة وهران[2].

وتحدث مارمول كربخال (MARMOL عاش في القرن 10هـ / 16م) عن مدينة شرشال ولقبها بمدينة المهاجرين الأندلسيين حيث يقول: « ومن يوم إلى آخر يزداد كل هذا السهل امتلاءًا بالمدجنين والثغريين »[3].

وفي في شان تأسيس مدينة تنس[4] يذكر البكري: « وتنس هذه هي التي تسمى الحديثة وعلى البحر حصن يذكر أهل الأندلس أنه كان قديمًا معمور قبل هذه الحديثة، وتنس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الاندلس منهم الكركرني وأبو عائشة والصقر وصهيب، وذلك سنة اثنتين وستين ومائتين، ويسكنها فريقان من أهل الاندلس من أهل البيرة وأهل تدمير، وكان هؤلاء من البحريين من أهل الاندلس يشتون في مرسى على الساحل، فتجمع اليهم بربر ذلك القطر ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس، وسألوهم أن يتخذوها سوقًا ويجعلوها سكنى وواعدوهم بالعون والرفق وحسن الجوار والعشرة، فأجابوهم إلى ذلك وانتقلوا الى القلعة وخيموا بها، وانتقل اليهم من جاورهم من أهل الاندلس »[5].

نستنتج من وصف البكري أنه كانت هناك تنس القديمة التي أطلق عليها اسم حصن على البحر كان معمور قديمًا، والتي تبعد عن الحديثة بميلين، وقد هدمها السيل فابتنى البحارة الأندلسيون تنس الحديثة على بعد ميلين من البحر في أرض عذراء خالية من العمران.

كما أشارت المصادر إلى الصورة النمطية للوجود الأندلسي في بعض مدن المغرب الأوسط، فذكر البكري تأسيس مدينة وهران على يد بحارة أندلسيين بقوله : « وبنى مدينة وهران محمد بن أبي

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص28.

[3] Carvajal Del Marmol, **L'Afique de Marmol, trad, Nicolas Perrot sieur d'Ablancourt**, tome II, Chez louis billaine, Paris, MCCLXVII, 1967, P: 399.

[4] عرفت مدينة تنس في العصر القديم باسم Cartinna وCartenna وCartennas، وحسب بعض الباحثين فإن الاشتقاق اللغوي لهذه التسمية مشكل من قسمين هما Carth، ومعناها مدينة في اللغة القرطاجية، وTennas، وهي كلمة محلية بربرية مجهولة المعنى. ينظر: إسماعيل بن نعمان، **مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3 ــ 9هـ / 13 ــ 19م)**، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006 ـــ 2007، ص2.

[5] البكري، **المسالك والممالك**، ص59 ــ 61.

عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران، باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن، وهم من ازداجة، وكانوا أصحاب القرشي سنة تسعين ومائتين، فاستوطنوها سبعة أعوام »[1].

نلاحظ إذن إقامة مؤقتة للبحارة الأندلسيين، ولو أنها استمرت سبعة أعوام، نتج عنها تأسيس مدينة ثانية على ساحل المغرب الأوسط سنة 290هـ / 902م، وهذا باتفاق مع الجماعات الريفية المحلية المقيمة في محيط الموقع، فكان لهذا الفعل التحضري الأول أثره في جذب جماعة ريفية من أزداجة للإقامة في مدينة وهران رفقة الجماعة الأندلسية، وهو مؤشر على الدور التحضيري الذي قامت به الجماعة الأندلسية[2].

خاتمة:

يمكن القول بأن الدراسة استعجلت في إبراز ثمارها ونتائجها، نظرًا لكونها اهتمام محفوف بالصعوبات المنهجية التي تقف أمامها في هذا النوع من الحفريات المعرفية، ولو أنها مقاربة حاولت تعزيز بعض النتائج المتوفرة بشتات المصادر.

إن دراسة الطوبونيميا الأندلسية بالمغرب الأوسط من خلال حضور عناصر مجتمعه إلى سواحل المتوسطية في عصره الوسيط، يتطلب المزيد من الحفر المعرفي، وهو في حالة ملحة إلى استنطاق النصوص وتحليل عملية تعريب الهوية الأونوماستيكية التي كانت موجودة أثناء الهجرة الموريسكية، والتي تسمح بعد ذلك ضبط طوبونيميتها.

ويمكن القول بأن الحضور الأندلسي بالمغرب الأوسط كان له أثر على العمران الاقتصادي وتحديدًا الانتشار الطوبوغرافي للنشاطات الحرفية، والذي يبقى دون دليل قاطع، حيث برزت بالمجالات الحضرية نماذج قليلة أشارت إليها المصادر.

وتبدوا الصورة النمطية للوجود الأندلسي مسايرة لحركة الملاحة البحرية على طول السواحل، وذلك من خلال ما شيده المهاجرون الأندلسيون من مدن كتنس ووهران والبليدة، وغيرها من الأماكن والمدن الساحلية التي لا تزال شاهدة على وجوده، ذلك أن أول الجاليات الأندلسية الوافدة إلى المغرب الأوسط كانت من شرق الأندلس، ويعود سبب ذلك إلى تقدم سقوط الجناح الشرقي من الجزيرة بيد النصارى خلال النصف الأول من القرن 7هـ / 14م.

كما اتضح أن وفود الهجرة الأندلسية كانت كثيفة لدرجة أنها وصفت من طرف المصادر « الجالية »، و« الجماعة الأندلسية »، تركت بصماتها بشكل واضح في انتقال المعارف إلى المغرب الأوسط، وهو ما يعني وجود تنظيم هيكلي، أو جماعات متميزة بهويتها الأندلسية.

---

[1] البكري، **المسالك والممالك**، ص70.

[2] علاوة عمارة، **الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وأثرها في العمران**، ص48.

المصادر والمراجع:

1 ــ باللغة العربية:

المصادر:

ــ البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487هـ / 1094م)، **المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

ــ **المغرب فِي ذكر إفريقية وبلاد المغرب**، تَحقيق وترجَمة: دوسلان، مكتبة المثنَى، بغداد، 1958.

ــ البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

ــ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت 456هـ / 1063م)، **جمهرة أنسابالعرب**، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

ــ الحميري محمد بن عبد المنعم (ت أواخر القرن 9هـ / 15م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، د.ت.

ــ ابن خلدون أبي زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1405م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، ج4، ط2، دار الفكر، بيروت، 2000.

ــ ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي (ت نهاية ق 7هـ / 13م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: كولان وليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1983.

ــ الغبريني أبو العباس أحمد (ت 704هـ / 1304م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

ــ ابن القطان أبي محد حسن بن علي بن محمد بن عب الملك المراكشي (ت 628هـ / 1230م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، درسه وقدم له وحققه: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1990.

ــ المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: محمد بن شريفة، ج1، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، 1984.

ــ ابن مرزوق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الخطيب (ت 781هـ / 1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: مَحمود بوعياد، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981.

ــ مؤلف مجهول كاتب مراكشي من كتّاب القرن (ت 6هـ / 12م)، **كتاب الاستبصار فِي عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت.

ــ مؤلف مجهول، **نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر**، ضبط وتعليق: الفريد البستاني، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

ــ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ / 897م)، **البلدان**، وضع حواشيه: محمد أمين صناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 2002.

المراجع:

ــ أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنثنت، **تاريخ مسلمي الاندلس الموريسكيون حياة ومأساة أقلية**، ترجمة: عبد العال صالح طه، تقديم: محمد محي الدين الأصفر، ط1، دار الإشراق، قطر، 1988.

ــ بلغيث محمد الأمين، **الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة**، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسى لقبال، تنسيق: إسماعيل سامعي وعلاوة عمارة، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، 2008.

ــ بن نعمان إسماعيل، **مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3 ــ 9هـ / 13 ــ 19م)**، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006 ـــ 2007.

ــ بوكثير مسطاري، " **الماء والتوطين بالقرى الجبلية بالجنوب التونسي: ملاحظات وإضاءات حول قرية السند** "، مجلة الأندلس مغرب، ع19، 2011.

ــ حسن محمد، **الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع VII ــ XV**م، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، تونس، 2004.

ــ الزقرطي إبراهيم موسى، **أسس الأسماء الجغرافية**، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان، 1997.

ــ سعيدوني ناصر الدين، **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

ــ فيلالي عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس ودول المغرب**، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

ــ **تلمسان فِي العهد الزيانِي ــ دراسة سياسية عمرانية اجتماعية، ثقافية**، موفم للنشر، الجزائر، 2002.

ــ عمارة علاوة، **الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وأثرها في العمران**، ضمن كتاب « **الهجرة المغاربية وأبعادها السوسيو ــ تاريخية** »، أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، إشراف: كمال فيلالي، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011.

ــ ناصري عبد المالك، **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي تساؤلات منهجية**، ضمن كتاب « **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي إسهام في ضبط أسماء الأماكن مقدمات في المنهج والعلائق** »، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012.

ـ نجراوي فاطمة الزهراء، **الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الاماكن المأهولة « مقاربة لغوية تطورية منطقة تلمسان أنموذجًا »**، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص: ثقافة شعبية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2016 ـ 2017.

باللغة الأجنبية:

ـ Albert Dauzat, **Les noms de lieux: origine et évolution, villes et villages, pays, cours d'eau, montagnes**, Paris, 1963.

ـ Carvajal Del Marmol, **L'Afique de Marmol, trad, Nicolas Perrot sieur d'Ablancourt**, tome II, Chez louis billaine, Paris, MCCLXVII, 1967.

ـ Saddek Benkada, **Quelques toponymes espagnols d'Oran et de sa région à travers le rapport de Joseph de Aramburu 1741**, CRASC, Oran, 2005.

ـ Idris Hady Roger, **La Berbérie Orientale sous les Zirides Xé-XIIé**, Paris, 1962.